

نُقطة.. وسطر جديد



نقومُ بهذه العملية بشكل تلقائي، ودونَ تَعَذُّتٍ مَذَلٍّ في رَصٍّ الحُرُوفِ على السَّطْرِ الأوَّلِ، وذلكَ لأنَّنا أدركنا - تمام الإدراك - أن السَّطرَ لَمْ يَعدْ يَتَسَّعُ لحَرْفٍ جَدِيدٍ، وما عادَ يَحْتَمِلُ من الكلمات ما يُشكِّلُ جُمْلَةً مُفِيدَةً ذاتَ مَعْنَى جَمِيلٍ، فيأتي السَّطرُ الثاني بمنزلةِ فَرَصَةٍ نَمِينَةٍ تَهْبُ حُرُوفُنا الحَيَاةَ من جَدِيدٍ!

لكن؛ ماذا لو أصرَّتِ الحُرُوفُ عَلى أن تُكْتَبَ كُلُّها عَلى السَّطْرِ الأوَّلِ وانصاعَ القلمُ لرغبتها؟

فراحَ سنُّ القلمِ يقطعُ المسافةَ بين أوَّلِ السَّطْرِ وآخره جَيِّئَةً وذَهاباً بَحْثاً عن فُرْجَةٍ يَدْسُ فيها حُرُوفُهُ، تُرى هل سَيَتَحَقَّقُ له ما يُريدُ؟

النُّقْطة والسطر الجديدُ وإصرار الحُرُوفِ على ألاَّ تَبْرَحَ السَّطْرَ الأوَّلَ تُذَكِّرُني بتَجاربِ المَاضِي الفاشلة التي تُخَيِّمُ بعتمتها على قلوب البَعْضِ، فينْغَمِسُونَ فيها حَدَسَ الغَرَقِ!

أَسَرَى هُمْ لِأَحْزَانِهِمْ وَإِحْبَاطَاتِهِمْ، وَإِذَا نَادَاهُمْ مُنَادِي الْأَمَلِ أَشَاحُوا بِوُجُوهِهِمْ عَنْهُ، وَأَصْمُتُوا آذَانَهُمْ،
ثُمَّ مَضَوْا مُهْرُولِينَ إِلَى حَيْثُ يَقْبَعُونَ دَائِمًا فِي تِلْكَ الزَّوَايَةِ الْكُثِيبَةِ فِي غُرْفِهِمِ الْمُتْزَوِيَةِ، لَا
يَقْوُونَ عَلَى فَعْلِ شَيْءٍ سِوَى الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ عَلَى مَا فَاتَ، وَالْأَسَى عَلَى مَا هُوَ آتٍ، مُكْبِّلِينَ بِالْعِزِّ
وَقِلَّةِ الْحِيلَةِ وَسُوءِ التَّدْبِيرِ!

وَنَظَرَهُمْ قَصِيرُ الْمَدَى وَفِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ. كَأَنَّ دَاءَ التَّصَلُّبِ أَصَابَ رَقَبَتَهُمْ، وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ: مَاذَا
تَرُونَ؟ أَجَابُوكَ: السَّوَادُ يَبْسُطُ رِدَاءَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا نَرَى شَيْئًا!

حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ مُتَعَةً بِالْمَحَاوِلَةِ الْجَادَّةِ لِلْبَدْءِ مِنْ جَدِيدٍ، حِينَمَا أَسَاءُوا الظَّنَّ
بِالْجَلِّ جَلَّالِهِ.

وَلَمْ يَفْقَهُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنْ لَا يَغْيِرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...) (الرعد: 11).

لَا أَعْلَمُ كَيْفَ يُقَاسُ النَّجَاحُ عِنْدَ بَنِي الدُّنْيَا، وَبِمَا يُقَاسُ الْفَاشِلُ؟

لَكِنَّنِي عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ نَجَاحٌ مُطْلَقٌ أَوْ فَشَلٌ مُطْلَقٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بَلْ تَجَارِبُ وَخِبَرَاتٌ..

فَكَمْ مِنْ تَجْرِبَةٍ فَاشِلَةٍ جَعَلَتْنا نَقِفُ مَعَ أَنْفُسِنَا وَقِفَّةَ تَفْكَرٍ وَتَدَبُّرٍ، وَكَمْ مِنْ تَجْرِبَةٍ فَاسِيَةٍ
كَانَتْ

فِي أَنْ نَتَعَلَّمَ سِرًّا جَدِيدًا مِنْ أَسْرَارِ النَّجَاحِ...

نَعَمْ؛ فَمَا كَانَ سِرًّا بِالْأَمْسِ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَبْجَدِيَّاتِنَا، وَلِلْيَوْمِ سِرَّهُ الَّذِي لَمْ يُكْتَشَفْ بَعْدَ،
حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ اكْتِشَافُهُ. بِتَوْفِيقِ مَنْ أَوْفَقَ. تَقَدَّمْنَا خَطْوَةً فِي دَرْبِ الْفَتْحِ، وَهَكَذَا...

فَالْتَّجَارِبُ الْفَاشِلَةُ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِانْتِهَاءِ الْأَجَلِ، لَكِنَّهَا تَقِلُّ بِزِيَادَةِ الْوَعْيِ وَالْخَبَرَةِ، وَلَا
تُكْتَسَبُ الْخَبَرَةُ إِلَّا بِسِرِّ أَغْوَارِ الْحَيَاةِ، وَخَوْضِ التَّجَارِبِ وَالتَّعَلُّمِ مِنْهَا، وَمِنْ ثَمَّ تَجَاوُزِهَا
لِمَا بَعْدَهَا بِتَحَدٍّ وَإِيمَانٍ كَبِيرِينَ وَقَلْبٍ لَا يَعْرِفُ الْحَقْدَ!